قوم عیسی عَلَیهِ السَّلَام

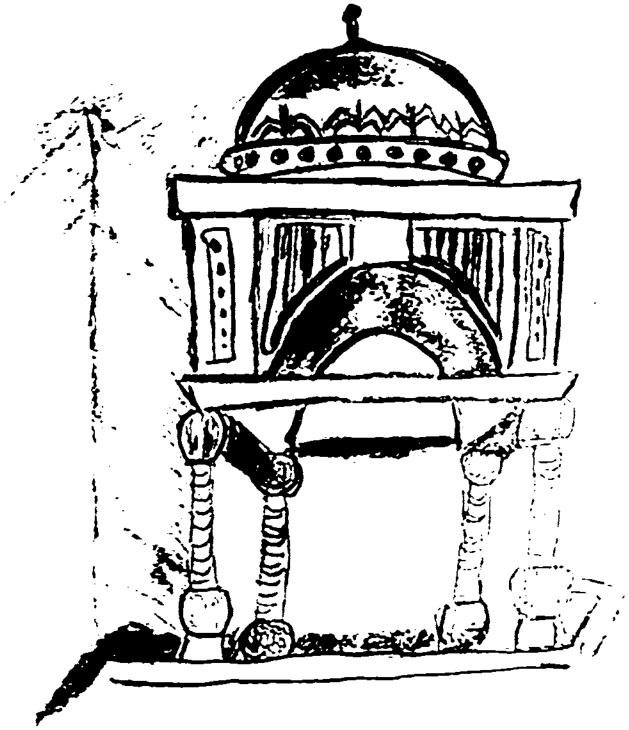

نسبهم

هم النصارى، أتباع نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام.

وصفهم

الضالون منهم ثلاث فرق: فمنهم من قال: إنّ عيسى ابن الله، وهؤلاء هم المسمّون بالملكية. ومنهم من قال: إنّ عيسى هو الله، نزل وأخذ ابن آدم وعاد، يعني تصوّر بصورة آدم، ثم رجع إلى تعاليه، وهؤلاء يسمّون باليعاقبة. ومنهم من قال: إنّ الله في نفسه عبارة عن ثلاثة: عن آب، وهو الروح القدس. وعن أم، وهي مريم. وعن ابن، وهو عيسى، كذا في الإنسان الكامل في باب التوراة[1]. وهم قوم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، جمع نصران، ويقال: نصراني، وهو الأكثر في الاستعمال، ووجه هذا الاسم أنهم كانوا أنصاراً له. وقيل: هو مأخوذ من الناصرة، وهي القرية التي كان نزلها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[2].

حياتهم

النصارى: أمة المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهو المبعوث حقًّا بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، المبشر به في التوراة. وكانت له آيات ظاهرة، وبينات زاهرة، ودلائل باهرة، مثل إحياء الموتى، وإبراء

(١). انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج (١٧٠٠/٢).

(٢). انظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين: الإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م (١٢٢/١).

الأكمه، والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه. وذلك حصوله من غير نطفة سابقًا، ونطقه البين من غير تعليم سالف. وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، وقد أوحى الله تعالى إليه إنطاقًا في المهد، وأوحى إليه إبلاغًا عند الثلاثين. وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام[1].

وليعلم كل مسلم: أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى، ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: كباطرة، ومتى الشرطي، ويوحنا، ويعقوب، ويهوذا الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين، فكيف حواريين، بل كانوا كذابين مستخفين بالله تعالى. إما مقرين بإلهية المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، معتقدين لذلك، غالين فيه: كغلو السبئية وسائر فرق الغالية في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكقول الخطابية بإلهية أبي الخطاب، وأصحاب الحلاج بإلهية الحلاج، وسائر كفار الباطنية، عليهم اللعنة من الله والغضب، وإما مدسوسين من قبل اليهود، كما تزعم اليهود، لإفساد دين أتباع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وإضلالهم، كانتصاب عبدالله بن سبأ الحميري، والمختار بن أبي عبيد، وأبي عبدالله العجاني، وأبي زكريا الخياط، وعلي النجار، وعلي بن الفضل الجندي، وسائر دعاة القرامطة والمشارقة لإضلال شيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف، وسلم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة، وأما الحواريون الذين أثنى الله عليهم،

---

(١). انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي (٢/٢٥).

فأولئك أولياء الله حقًّا، ندين لله ﷻ بحبهم، ولا ندري أسماءهم، لأن الله تعالى لم يسمهم لنا، إلا إننا نثبت ونوقن ونقطع بأن باطرة الكذاب ومتى الشرطي ويوحنا المستخف ويهوذا ويعقوب النذلين ومارقس الفاسق ولوقا الفاجر وبولس الجاهل ما كانوا قط من الحواريين، لكن من الطائفة التي قال الله فيها (وكفرت طائفة)، وبالله تعالى التوفيق(١).

الشرك في قوم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنهجه في محاربته. لقد تتابعت بعثة الرسل والأنبياء على بني إسرائيل على مر العصور والأزمان، لانتشالهم من الضلال والجهل وطغيان المادة، ولكن بني إسرائيل لم يقابلوا تلك النعمة بالشكر والامتنان، وإنما قابلوها بالجحود والكفر، وتمردوا على الشرائع الربانية، التي جاء بها أنبياؤهم، واستمروا على الشرك وعبادة الأوثان، حتى قبيل ظهور المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ظهر من الآلهة المقدسة في الإغريق والرومان والفرس والشام ومصر وبابل، وغيرها الأعداد الكثيرة.

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه المسيحية: قبل ظهور المسيح، كانت هناك معابد كثيرة تقدس عددًا كبيرًا من الآلهة، فهناك مثلًا آيلو الذي كان يقدسه الإغريق، وهيركوليس معبود الرومان، ومترا معبود الفرس، وأدونيس معبود السوريين، وأوزيريس وإيزيس وحورس

---

(١). انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة (٢/٣٢-٣٣).

معبودات المصريين، وبعل معبود البابليين، وسواهم كثيرون. وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس ...

فجاء عبدالله ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بني إسرائيل، ليردهم إلى الطريق الحق، ويصحح لهم ما دخل على شريعتهم من تحريف وتبديل، ويبلغهم ما أنزل الله عليه من شريعة جديدة، وما فيها من تحليل بعض ما حرم عليهم في شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بسبب بغيهم وعدوانهم، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وأنزل الله تعالى عليه الإنجيل، فيه الهدى والنور، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦].

وفيه البشارة بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبي الخاتم، وصاحب الشريعة العامة لكافة الخلق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]. ودعا قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى

وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [الزخرف:٦٣-٦٥].

وعلى هذا الأساس، أخذ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى، ويقارعهم الحجة، ويرفض أي ادعاء أو زيادة ترفع شخصه عن جنس البشرية، أو مقام النبوة. وهكذا جاء عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بكلمة التوحيد خالصة لله تعالى، في وضوح وجلاء، ولم يقل مرة واحدة: إنه إله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أي صله بربه، غير صلة العبودية الخالصة من جانبه، والربوبية المطلقة لله رب العالمين.

ومن هذا يتبين لنا أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لو جرد من كل ما أضافه إليه المحرفون الضالون، لكان كما وصفه رب العزة والجلال في كتابه الكريم: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم:٣٠-٣٦].

ولما كان اليهود الذين بعث فيهم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قساة القلوب، فقد أعرضوا عن رسالته، وأخذوا يصدون الناس من سماع دعوته، ولما وجدوا أن البعض يؤمن به ويلتف حول دعوته، أخذوا يحرضون الرومان عليه، ويوهمونهم أن في دعوة عيسى زوالًا لملك قيصر، وتقويضًا لسلطانه، فتمكنوا من حمل الحاكم الروماني على إصدار الأمر بالقبض عليه، والحكم بإعدامه صلبًا.

ولكن الله تعالى لم يمكنهم مما أرادوا به من كيد ومكر، إذ رفعه الله تعالى إليه، وألقى الشبه على غيره، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:٥٥][(١)].

وإذا كان اليهود غلب عليهم التفريط والتقصير والجفاء في حق أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مع غلوهم في بعضهم كالعزير عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فإن النصارى قد ذهبوا إلى أقصى الطرف المعاكس، فغلب عليهم الغلو والإفراط، ولا سيما في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، على أنهم فرطوا وقصروا أيضًا في حق بعض رسل الله، بل وفي حق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيضًا، ويمكن إجمال مواقفهم في هذا الباب في الأمور التالية:

الأمر الأول: أنهم لم يؤمنوا بجميع رسل الله وأنبيائه؛ بل فرقوا بينهم، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وغلوا في البعض الآخر، وهم معنيون أيضًا بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

---

(١). انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، مرجع سابق (ص٢٣١-٢٣٥).

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وقدمنا إيراد هذه الآية في الكلام على موقف اليهود، وذكرنا ما قاله الإمام ابن جرير في تفسيرها، وفيه أن النصارى ممن آمن ببعض الأنبياء، وكفر ببعض، حيث آمنوا بعيسى وموسى بزعمهم، وكفروا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الثاني: أنهم غلوا وأفرطوا في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، ورفعوه فوق المكانة التي جعله الله فيها، وأنزلوه فوق المنزلة التي أنزله الله إياها.

فلم يؤمنوا به عبدًا لله ورسولًا نبيًّا؛ وإنما جعلوه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، يتكون منها الإله، وعبدوه من دون الله ﷺ، وأضافوا إليه من الأفعال والأعمال ما لا يصح إضافته ونسبته إلا إلى الله ﷻ؛ فكانت عقيدتهم فيه التي أجمعوا عليها بعد (مجمع نيقية) وسموها بـ (الأمانة) على النحو التالي: الإيمان:

١. بإله واحد، آب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، صانع ما يرىٰ، وما لا يرىٰ.

٢. وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب، قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء،

وصلب حيًّا علىٰ عهد بيلاطس وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث علىٰ ما في الكتب، وصعد إلىٰ السماء، وجلس علىٰ يمين الرب، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه.

ولقد ذكر القرآن الكريم غلوهم في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقولهم بألوهيته وبنوته لله ﷻ، وكفرهم بذلك، فقال جل وعلا: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠]، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٣].

وورد في بعض الأناجيل بعض النصوص، التي اعتمد عليها النصارى في تأليه المسيح وبنوته. من ذلك ما جاء في إنجيل (يوحنا) كقوله: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل به كون وبغيره لم يكون شيء مما كون. فجعل المسيح هو الكلمة، وجعل الكلمة هي الله، فالمسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم.

وفيه أيضًا أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أبرأ أعمى فرده بصيرًا، وأن اليهود لما سألوه من رد إليك بصرك وأخبرهم بذلك ووعظهم طردوه. وسمع

يسوع أنهم طردوه خارجًا فلقيه، وقال له: أتؤمن أنت بابن الله؛ فأجاب. وقال: ومن هو يا سيد لأومن به؛ فقال له يسوع قد رأيته، وهو الذي يكلمك؛ فقال له: قد آمنت يا رب وسجد له.

على أن في هذا الإنجيل وغيره من الأناجيل من التناقضات في هذا الباب الكثير، بل فيه ما يدل على بشرية المسيح وعبوديته، وأنه نبي وليس بإله، وليس من غرضنا هنا ذكر ذلك؛ وإنما القصد الإشارة إلى قولهم بألوهية المسيح وبنوته لله ﷻ.

الأمر الثالث: خذلانهم لنبيهم وعدم نصرته: إن من الواجب على أتباع الرسل وخاصة أصحابهم وحوارييهم، أن ينصروهم ويعزروهم، ويفدوهم بأنفسهم وأموالهم، كما تقدم ذكر أخذ الله ميثاق بني إسرائيل على نصر الرسل ومؤازرتهم. ولكن قوم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتلاميذه خذلوه ولم ينصروه عندما أراد أعداؤه من اليهود أخذه وقتله، بل أسلمه بعضهم، ودل عدوه عليه، لولا أن الله رفعه، وألقى شبهه على بعض تلاميذه.

ويسجل عليهم إنجيل (متى) هذا الموقف المشين، فيقول في ذلك: حينئذ مضى أحد الاثني عشر، الذي يقال له: يهوذا الأسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال لهم: ماذا تريدون أن تعطوني، فأسلمه إليكم؟ فجعوا له ثلاثين من القصة، ومن ذلك الوقت يطلب الفرصة ليسلمه. وفيما هو يتكلم -أي: المسيح- إذ جاء يهوذا أحد الاثني عشر، ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب،

والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلًا، الذي أقبله هو هو. فأمسكوه وللوقت دنا إلى يسوع، وقال له: السلام يا معلم وقبله؛ فقال له يسوع: يا صاحب، لأي شيء جئت، حينئذ جاءوا، وألقوا أيديهم على يسوع، وأمسكوه. حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا.

فانظر كيف تآمر عليه تلميذ وصاحب من أصحابه، وباعه لأعدائه بثمن بخس دراهم معدودة، ثم كيف هرب باقي تلاميذه وتركوه، نعم حاول بعضهم الدفاع عنه، لكنهم في النهاية أسلموه لعدوه؛ على أنا لا نسلم لهم أن دعوه تمكن منه، وما صلبوه، وما قتلوه يقينًا، ولكن شبه لهم.

لكن الشاهد من هذا النص من الإنجيل: أن النصارى يثبتون أن تلاميذ المسيح وأصحابه أسلموه لليهود، وخلوا بينهم وبينه، وقبض بعضهم ثمنًا لذلك. وهذا غاية الخذلان[1].

العبر والعظات المستفادة

١. عيسىٰ عبد الله ورسوله ونبيه، وليس كما يدعي النصارىٰ أنه إله أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

---

(١). انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق: محمد با كريم محمد با عبدالله، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م (٢٧٣-٢٧٦).

٢. دين الله الذي أرسل به رسله وأنبياءه هو التوحيد الخالص وعبادته وحده بلا شريك، وهو دين الإسلام، فأنبياء الله كلهم لا استثناء مسلمون مؤمنون موحدون، ودينهم واحد وإن اختلفت شرائعهم، فإن الدين عند الله الإسلام.

٣. كلما كثر الأعداء وتكالبوا كلما كان نصر الله قريب.

٤. أتباع الأنبياء منصورون لا محالة، والعاقبة لهم، وإن أصابهم شيء من البلاء واللأواء.

٥. إذا تخلىٰ عنك النصير وخذلك القريب، فاعلم أن الله يريد أن يتولىٰ نصرك.